سورة الفتح

(ابن إسحاق) عن الزهري عن عروة عن المسرور ومروان (قالا) نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها (م).

(إسماعيل) ابن أبي أويس حدثني مجمع بن يعقوب عن أبيه سمعت مجمع بن جارية يقول أقبلنا مع رسول الله من الحديبية حتى بلغ كراع الغميم فإذا الناس يرسمون نحو رسول الله فقال بعض الناس لبعض ما للناس قالوا أوحي إلى رسول الله فحركنا حتى وجدنا رسول الله عند كراع الغميم واقفاً فلما اجتمع عليه الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] فقال بعض الناس أو فتح هو قال والذي نفسي بيده أنه لفتح (م).

(قلت) لم يرو مسلم لمجمع شيئاً ولا لأبيه وهما[2] ثقتان.

(حرمي) بن عمارة ثنا شعبة عن قتادة عن أنس في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قال فتح خيبر ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾[3] فقالوا يا رسول الله هنيئاً لك فما لنا فأنزل الله ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾[4] الآية (خ م) وأخرج (م) أوله.

---

(1) الفتح: 1.

(2) انظر كتاب الثقات لابن حبان 7/ 498..

(3) الفتح: 2.

(4) الفتح: 5.

(**الحكم**) بن عبد الملك عن قتادة عن أنس قال لما رجعنا من الحديبية وأصحاب محمد قد خالطوا الحزن والكآبة حيث ذبحوا هديهم في أمكنتهم فقال رسول الله: «**أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً ثلاثاً**» قلنا ما هي يا رسول الله فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ الآيتين قلنا هنيئاً لك فما لنا فقرأ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية فلما أتينا خيبر فأبصروا خميس رسول الله يعني جيشه أدبروا هاربين إلى الحصن فقال رسول الله: «**خربت خيبر إنا إذ نزلنا ساحة قوم**» ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[5] قلت الحكم[6] ضعيف أخرجه استشهاداً.

(**سفيان**) عن سلمة بن كهيل عن ابن الأحوص عن علي (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)[7] قال السكينة لها وجه كوجه الإنسان ثم هي بعد ريح هفافة. صحيح.

(**بقية**) حدثني مبشر بن عبيد عن الحجاج بن أرطاة عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾[8] قال الضرب بين يديه بالسيف. صحيح قلت: قال أحمد: مبشر بن[9] عبيد، كان يضع الحديث.

(**الحسين**) بن واقد حدثني ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل قال كنا مع رسول الله بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وكان غصن منها على ظهر رسول الله فرفعته عن ظهره وعلي وسهيل بن عمرو جالسان بين يديه فقال لعلي اكتب فذكر من الحديث أسطراً مخرّجة في الكتابين من ذكر سهيل قال عبد الله بن مغفل فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً

(5) الصافات: 177.
(6) التلخيص: 2/ 460.
(7) انظر الميزان: 1/ 576.
(8) الفتح: 9.
(9) انظر الميزان: 3/ 433.

عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله هل جئتم في عهد أحداً وهل جعل لكم أحد أماناً فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل إليه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[10] (خ م) إذ لا يبعد سماع ثابت من ابن مغفل قد اتفقا على إخراج معاوية بن قرة وحميد بن هلال عن ابن مغفل وثابت أسن منهما.

(سفيان) عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعى عن علي ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[11][12] قال لا إله إلا الله، والله أكبر (خ م).

(الأعمش) عن خثيمة قال قرأ رجل على عبد الله سورة الفتح فلما بلغ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[13] قال ليغيظ الله بالنبي وبأصحابه الكفار ثم قال أنتم الزرع وقد دنا حصاده (خ م).

(هشام) عن أبيه عن عائشة ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ قالت أصحاب رسول الله امروا بالاستغفار لهم فسبوهم (خ م)[14].

(10) الفتح: 24.
(11) الفتح: 26.
(12) التلخيص: 2/ 461.
(13) الفتح: 29.
(14) التلخيص: 2/ 462.

تبادل التهاني عند حصول ما يفرح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [48/ 1]

(15)وقال يونس بن بكير، عن عبد الرحمن المسعودي، عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن أبي مسعود، قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية، جعلت ناقته تثقل، فتقدمنا، فأُنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وقال شعبة، عن قتادة، عن أنس: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح الحديبية، فقال رجل: هنيئاً مريئاً يا رسول الله هذا لك فما لنا؟ فأنزلت ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾(16).

تفسير أهل البهتان لآية من سورة الفتح

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ [48/ 2]

(17)(والمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان، كقولهم في: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ [الفتح: 2] أي ذنب آدم! ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنب أمتك! فأما آدم فنبي كريم، فوقعوا فيما فرّوا منه، فنفوا الذنب عن نبينا والصقوه بآدم. ثم إن آدم تاب الله عليه قبل أن يهبط/ إلى الأرض، وقبل أن يولد نوح وإبراهيم، والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164، الإسراء: 15، فاطر: 18، الزمر: 7، النجم: 38] فكيف يضاف ذنب هذا إلى ذنب هذا؟ ثم إن هذه الآية لما نزلت قال أصحابه: يا رسول الله، هذا لك، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4]).

---

(15) تاريخ الإسلام: 2/ 396.

(16) انظر تفسير الطبري: 26/ 70، وابن كثير: 7/ 326، والحديث صحيح، أخرجه البخاري انظره مع الفتح: 7/ 450.

(17) المنتقى من منهاج السنة النبوية، ص85.

تفسير ضعيف لمعنى (السكينة)

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [48/4]

(18)وقال أبو حذيفة النهدي: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص، عن علي ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: السكينة لها وجهٌ كوجه الإنسان، ثم هي بعد ريح هفافة.

وقال ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: السكينة كهيئة الريح، لها رأس كرأس المعرة وجناحات.

إشارة إلى معارك لم تحدث إلا بعد وفاة النبي

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [48/16]

(19)وقال هشيم: «أنا أبو بشر، عن سعيد بن جُبير، وعكرمة: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قالا: هو إذن يوم حُنين رواه سعيد بن منصور في سننه. وقال بندار: ثنا غندر، ثنا شعبة، عن هُشيم، ندكرة، وزاد هوازن وبنو حنيفة.

وقال عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، قال: فارس(20).

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ [48/16]

(21)(وأما آية: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ [الفتح: 16] فقد استدل بها على خلافة

---

(18) تاريخ الإسلام: 2/ 399.

(19) تاريخ الإسلام: 2/ 398.

(20) انظر تفسير الطبري: 26/ 83، وابن أبي حاتم: 10/ 3300، وابن الجوزي: 7/ 431، وابن كثير: 7/ 338، والسيوطي: 7/ 520.

(21) المنتقى من منهاج السنة النبوية، ص559.

الصديق الشافعي والأشعري وابن حزم، واحتجوا بأن الله قال: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ [التوبة: 83] قالوا: فأمر الله نبيه في هؤلاء بهذا فعلم أن الداعي لهم إلى القتال ليس هو، فوجب أن يكون من بعده، وليس إلا أبا بكر أو عمر دعوا إلى قتال فارس والروم وغيرهم أو يسلمون، وهؤلاء جعلوا المذكورين في الفتح هم المخاطبين في براءة، ومن هنا صار في الحجة نفراً، والفتح نزلت في قصة الحديبة باتفاق. وبحث هنا شيخنا وطول ودقق، إلى أن قال في الآية: إنها لا تتناول القتال مع عليّ قطعاً، لأن الله قال: ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ والذين حاربهم عليّ كانوا مسلمين بنص القرآن. قال الله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9]، فوصفهم بالإيمان مع الاقتتال والبغي، وأخبر أنهم أخوة. وقال عليه السلام في الحسن/«وسيصلح الله بين فئتين من المسلمين» فجرى كذلك ودلّ عليه أن ما فعله السيد الحسن كان أرضى لله من القتال).

الله يأمر بموالاة الصحابة والرافضة تتبرأ منهم

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [48/ 18]

(22)(وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. أخبر سبحانه برضاه عنهم وبأنه علم ما في قلوبهم وكانوا ألفاً وأربعمائة فهم أعيان من بايع أبا بكر، وقال عليه السلام [فيما ثبت عنه في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله]: «لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار»(23)

(22) المنتقى من منهاج السنة النبوية، ص65.

(23) أخرجه مسلم في صحيحه: 4/ 1942، وانظر شرح السنة النبوية: 14/ 193.

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: 117] يعني غزوة تبوك، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: 55]. وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71] فأمر بموالاتهم، والرافضة تبرأ منهم. وقد قال بعض الجهلة: إن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: 55] نزلت في عليّ رضي الله عنه، وذكر في ذلك خبراً موضوعاً، وأنه تصدق بخاتمة في الصلاة فنزلت قيل: لا، لأن الآية صيغة جمع وعليّ واحد. ومن ذلك أن الواو ليست في ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ واوَ الحال، إذ لو كان كذلك لتعين بالبدء إعطاء الزكاة في الصلاة حال الركوع).

قصة صلح الحديبية

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [48/ 24 ـ 26]

[24]في قصة الحديبة لا يسمعون بعيرٍ لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن. فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ حتى بلغ (حمية الجاهلية) وكانت حميتهم أنهم لم يقروا بنبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين الموت، أخرجه البخاري. عن المسندي، عن عبد الرزاق، عن معمر، بطوله[25].

(24) تاريخ الإسلام: 2/ 374.

(25) انظر تفسير الطبري: 26/ 93، وابن أبي حاتم: 10/ 3300، وابن الجوزي: 7/ 441، وابن كثير: 7/ 342، والسيوطي: 7/ 527، ووالقصة أخرجها البخاري في صحيحه، انظره مع الفتح: 5/ 329.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [48/ 27]

[26]وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أُرِيَ رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فقالوا له حين نحر بالحديبية: أين رؤياك يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني النحر بالحديبية ثم رجعوا ففتحوا خيبر، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة[27].

الرسول إذا بكى لا تدمع عينه

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [48/ 29]

[28](محمد بن عمرو: عن أبيه، عن جده، عن عائشة قالت: حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، سعد بن معاذ، وهو يموت في القبة التي ضربها عليه رسول الله ﷺ في المسجد. قالت: والذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإني لفي حجرتي، فكان كما قال الله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ قال علقمة فقلت: أي أمه! كيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت لا تدمع عينه على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته)[29].

(26) تاريخ الإسلام: 2/ 398.
(27) انظر تفسير الطبري: 26/ 107، وابن كثير: 7/ 356، والسيوطي: 7/ 538، والحديث أخرجه البخاري انظر مع الفتح: 7/ 499.
(28) سير أعلام النبلاء: 1/ 285 ـ ترجمة سعد بن معاذ.
(29) انظر تفسير السيوطي: 7/ 541، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد: 3/ 423.

المسلم يجمع بين الشدة واللين

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [48/ 29]

(30)(وكان نبينا ﷺ مبعوثاً بأعدل الأمور وأكملها فهو الضحوك القتّال، وهو نبيُّ الرحمة ونبي الملحمة. جل أمته موصوفون بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة 54] فكان النبي ﷺ يجمع بين شدة هذا ولين هذا، فيأمر بما هو العدل وهما يطيعانه فتكون أفعالهما على كمال الاستقامة. فلما قبض الله نبيه وصار كل منهما خليفةً على المسلمين خلافة نبوة كان من كمال أبي بكر رضي الله عنه أن يولِّي الشديد ويستعين به ليعتدل أمره ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسد ومجرد الشدَّة تفسد؛ ويكون قد قام مقام النبي ﷺ فكان يستعين باستشارة عمر، وباستنابة خالد ونحو ذلك، وهذا من كماله الذي صار به خليفة رسول الله ﷺ، ولهذا اشتدَّ في قتال أهل الردة شدة برز بها على عمر وغيره، حتى رُوى أن عمر قال له: يا خليفة رسول الله ﷺ تَأَلَّفَ الناس. فقال: علام أتألفهم؟ أعلى حديثٍ مُفترًى أم على شعر مُفتعل؟ وقال أنس: خطبنا أبو بكر عقيب وفاة النبي ﷺ وإنّا لكالثعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود. وأما عمر رضي الله عنه فكان شديداً في نفسه، فكان من كماله استعانته باللين ليعتدل أمره: فكان يستعين بأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيد الثقفي والنعمان بن مقرن وسعيد بن عامر وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظم زهداً وعبادة من مثل خالد بن الوليد وأمثاله).

(30) المنتقى من منهاج السنة النبوية، ص362.